من اوراق اسبوع (المدى) الرابع

بعض وقائع المشهد الثقافي في العمارة

د.صادق ناصر الصكر

ان الكتابة عن الواقع الثقافي في المدن التي ألقت بها الفاشية في وهدة النسيان ، تستلزم نوعاً من الرؤى الجديدة التي تمتاز بحيويتها وطراوتها وهي تتمحور حول ما يحدث ، الآن ، في تلك المدن بدلاً من محاولة مفهمة الأوضاع الثقافية عبر الاكتفاء بأعادة انتاج المسرودات التي تقوم بتحبيك الفضائح الفاشية حسب مقاسات الضعف في تلك المفاهيم أو القيام بمفصلة التحولات الثقافية مع القصة الكريهة التي تتحدث عن عبور اليانكي نصف العالم لتحرير الجماعات البشرية القابعة في عتمة النسيان والدفع بها الى فضاء الأنعتاق.

ولكي نكتب بوضوح عن المشهد الثقافي الخاص بالمدن المذكورة ، يجب ان نتخلص من الوقع السحري لأدبيات التحريض ذات المنحى الطفولي والتي تحمل وسم المناطقي أو الطائفي او الأثني في انتاجها لترسيمات الكشف الثقافي. بناءً على ما تقدم ، ولأن الممارسة الثقافية هي أنفتاح لا نهاية له ، وبلا ضفاف ، على الواقع الموضوعي ، فأن الحديث عن الوضع الثقافي في العمارة ، اشد مدن العراق أيغالاً في غيابها القهري عن خريطةالحداثة العائدة للذاكرة العالمية ، يتطلب الحديث ضرباً من الاستطراد في وصف العقبات الأساسية التي تقف بين الثقافة في العمارة وبين أحلامها القديمة في أن ترى النور في قلب الحياة بدلاً من البقاء في الهامش.

وقبل ان نقوم بعرض متن البانوراما الخاصة بالمشهد الثقافي المليء بالتصدعات والفراغات الناجمة عن الصراع الشرس، المعلن أو المتخفي، مع أستتباعات الحضور داخل نسيج اجتماعي مكفهر، فأننا نود ان نضع الملاحظات التالية على هامش ذلك المتن:

١-لا توجد في العمارة دار واحد للعرض السينمائي (قبل احتلال العراق كانت توجد ثلاث دور عرض هي: النصر وبابل والعراق، تم أغلاق واحدة في زمن النظام السابق وتم تحويل الأثنتين المتبقيتين الى معمل للنجارة ومبنى لمجموعة من المنظمات غير الحكومية، بعد أنهيار ذلك النظام).

٢-لا تصدر في المدينة صحيفة يومية لأفتقار العمارة الى المطابع او دور النشر.

٣-ليس ثمة قاعة واحدة للعرض المسرحي.

٤-لا توجد بناية لأتحاد الأدباء والكتاب في المدينة وكذا هو الحال بالنسبة للمنظمات الثقافية الأخرى.

٥-تفتقر المدينة لناد أجتماعي أو حتى كافتريا أو مقهى محترم للمثقفين ولذلك فأن التواصل مع مثقفي المدينة يتطلب بحثاً مضنياً عنهم في مجموعة من المقاهي الرديئة التي ترتادها فئات وشرائح اجتماعية تتضاحك على حوارات المثقفين!!.

لنقل، أذن، أن الواقع الثقافي في العمارة، من الناحية المؤسساتية، هو في درجة الصفر (ما ذكر أعلاه، بالكامل تقريباً، مخلفات فاشية، وقد تتشابه الأمور، الآن، حتى مع العاصمة ولكنني اتحدث عن أضاع موروثة سبقت احتلال العراق وبقيت، كما هي، بعد ثلاث سنوات من التغير). وبعد أن قمنا بتأطير المشهد المشفوع بملاحظات الهامش .

وحان الوقت للأجابة على السؤال الكبير في تقرير العمارة الثقافي: الى اين وصلت الثقافة في هذه المدينة بعد كل هذا الخراب!!.

بطبيعة الحال، ولأن ثقافة الأزمنة الموحلة لا تحتمل الحكايات المبتورة، فأننا لن نقوم بعزف الترنيمة المملة عن أسماء لامعة في الثقافة العراقية كانت المدينة قد أزدانت بحضورها الجميل في وقت مبكر من أعمارها الثقافية قبل ان تغادر الى بغداد بحثا عن فرص مشروعة للحضور الثقافي..لن نأتي بجديد، قدر تعلق الأمر بتقريرنا، أذا ما تحدثنا عن العمارة التي انجبت، حسب ظروف المصادفة الجغرافية، مالك المطلبي وغازي العبادي وحسب الشيخ جعفر وحنون مجيد وجمعة اللامي وجاسم الهاشمي وعبد الرزاق المطلبي وعيسى حسن الياسري ونجم والي وسلام عبود، في القصة والشعر والنقد، و شوكت الربيعي وماهود احمد وصبيح عبود وصبيح كلش ومحمد الهاشمي واحمد البياتي وفاضل سوداني وفاضل خليل في التشكيل والمسرح، لأن المهم هو عرض الراهن الثقافي بدلاً من أستدماج الببلوغرافيا، الابداعية او الشخصية، العائدة لسلالات من المبدعين الذين غادروا المدينة منذ زمن بدد، لطوله ، حلم التعلق بهم بوصفهم اسلافاً لمثقفي المدينة.

ولغرض وضع النقاط على الحروف، ولتجنب هدر المزيد من الوقت في ملاحقة الفتوحات الزائفة للكثير من الطارئين على العمل الثقافي تحت مسميات شتى، لا سيما تلك التي عثرت على ضالتها في خلط الاوراق العالق بالحضور الانفجاري لمنظمات المجتمع المدني في العمارة، فأن المشاريع الثقافية، بوصفها أنتاجاً للنصوص أو رعاية حقيقية وصادقة لذلك الانتاج، تكاد تنحصر في صناعتها للوضع الثقافي في الجهات التالية:

١-اتحاد الأدباء والكتاب في ميسان
٢-مشغل عين الأبداعي
٣-رابطة البديل الثقافي
٤-المجلس العراقي للسلم والتضامن/ فرع ميسان
٥-مركز الأمام الصادق (ع)
٦-مؤسسة الهدى للدراسات الأستراتيجية
٧-رابطة حوار الثقافية

وعلى الرغم من أن اتحاد الأدباء والكتاب في العمارة هو البيت الكبير الذي خرج من معطفه معظم الناشطين في المنظمات السبع ألا أن السياسة الثقافية لكل منظمة وأساليبها في برمجة أشتغالاتها الإبداعية كانت عاملاً أساسياً في أضفاء سمات التنوع على الوضع الثقافي في العمارة. وأذا كانت الأزمنة الموحلة قد أستنبتت نوعاً من الاحساس بالوحدانية الثقافية الموحشة لدى هذه المنظمات المناوئة للشموليات القروسطية الرعناء ألا أن ما يجمعها هو ايمان اعضائها بأن تلك الوحدانية، كما يعبر أحدهم "أفضل من تحمل الأمور على علاتها رغبة في مسايرة الجموع".

فأتحاد الادباء والكتاب، انموذجاً، وبرعاية رئيسه الشاعر والمناضل العراقي جمال الهاشمي، كان في صراع يومي مرير مع عقبات كارثية للمحافظة على انتظام اقامة ندواته الاسبوعية في امكنة شتى توزعت بين قاعات المؤسسات والدوائر الحكومية والغرف الداخلية للمقاهي لأفساح المجال امام مبدعي المدينة لقراءة أعمالهم والأحتفاء بصدور المطبوعات الجديدة أو لتقديم مقارباتهم الثقافية.

ان العمارة، وتلك هي المفارقة في المدن المنسية والمرعوبة من الصعود المروع للأنساق الثقافية ، لم تتوقف يوماً عن تغذية صحف ومجلات الأمور الثقافية، سواء في العمارة أو في سواها، لتجميل الأمور حسب موجهات مناطقية بغيضة تسيرها الايديولوجية بدلاً من المسؤولية الابداعية، ألا أن ذلك لا يعني أن الأدب في العمارة قد فقد بريقه أو أنه قد أستنفد قواه.

حتى هذه اللحظة، وبغض النظر عن أشكاليات التجييل وأنواع الكتابة ومواقعية الشعر في المشهدية الثقافية والمواقف المتضادة من أنماط التدوين الشعري وطبيعة كشوفاته، وعلى الرغم من محاولات استدراج الشاعر للأنخراط في صراعات الديكة حيث التقرير والمباشرة وأجتياح جيوش من الموهومين الفضاء الشعري.. فأن الشعر، بمرموزاته العابقة برائحة الحياة ومراجعاته المستمرة لأدواته في التوصيل، كان محوراً دلالياً شغالاً في الثقافة المعادية للتجهيل عبر حضوره المتوهج في هموم الكتابة لدى عدد مهم من منتجي النص الشعري الأكثر طراوة وتوقداً في العمارة وفي المقدمة منهم شعراء حقيقيون تحملوا الكثير من الاعباء في سنوات القحط لأصدار اعمالهم أمثال ماجد الحسن ونصير الشيخ وجمال جاسم امين وعلي سعدون وحسن السلمان وغيرهم، فبعد أن أطلق محمد الحمراني روايته الأولى "انفي يطلق الفراشات" عن دار الواح في مدريد وروايته الثانية "الهروب الى اليابسة" عن دار الشؤون الثقافية العامة، وبعد أن تمكن سلام نوري من اصدار روايته الثانية "الناووس" عن دار النشر ذاتها، ها هي قصص سالم حميد ولطفي العبيدي واحمد صبري وحسن الياسري تتراصف مع الدراسات النقدية لمحمد قاسم الياسري وسمير الشيخ وحسن الكعبي، والمنشورة في أهم المطبوعات العراقية، لأعادة الحياة الى ثقافة المدينة المأزومة بهواجسها عن أمكانية الوفاء بالتزامات المثاقفة الحقيقية (فيما يتعلق بالقص، وكما يعلم الجميع، فإن مسرودات الداخل العراقي، عموماً، ما زالت تكابد أزماتها الموروثة في تحديث الكتابة وصعوبة استدخالها التكنيك الأكثر حداثة في ملفوظاتها اضافة الى الألتباسات الناجمة عن طرائقها في الأنفتاح على متغيرات السرد ما بعد الحداثي دون التفريط بالمحلية..

وعلى المرء أن يقرأ مدونات أدباء العمارة بهذه الرؤية الشمولية كي لا نتهم بأننا نمنح كتاب المدينة امتيازات لا يستحقونها).

أن الحراك الثقافي في مدينة العمارة، وهو حراك شاق تتلاعب به أقدار الأزمنة الموحلة، هو الذي يقف وراء فوز احد ادباء المدينة بالجائزة الاولى في أهم مسابقتين أدبيتين عراقيتين في العام ٢٠٠٥م، وهما جائزة عزيز السيد جاسم السنوية للأبداع والملتقى الثقافي العراقي الأول، وهو الذي حرض –أي ذلك الحراك- مجموعة من المبدعين في رابطة البديل الثقافي على اصدار مجلتهم:" البديل الثقافي "والتي نوه برصانتها أكثر من مطبوع عراقي، كما إننا نامل أن لا تكون الخطوة الرائعة لأتحاد الأدباء والكتاب في العمارة في الأعلان عن تأسيس نادي السينما لعرض الأفلام السينمائية المرموقة في قاعة صغيرة، تعود لأحدى منظمات المجتمع المدني، كمحاولة متواضعة، ولكنها كبيرة في مقصدياتها الحضارية، لأصلاح الضرر الثقافي الناجم عن الغياب المحزن لدور العرض في العمارة، الخطوة الخاتمة في أعادة توطين الثقافة السينمائية داخل المشهد الثقافي للمدينة، مثلما أننا نتوقع ان تكون الندوات نصف الشهرية لرابطة حوار الثقافية أو الملتقى الثاني في آيار القادم، خطوات أخرى لحقن ثقافة المدينة بالمزيد من جرعات الأمل الذي لم يكتب لنا، كما يقول فالتر بنجامين في عبارة نقية، ألا بفضل أولئك الذين بلا أمل .

وأذا كانت العمارة بلا مسرح فأن ذلك لا يعني أن غياب تقانات المسرح وفي مقدمتها ذلك البناء العتيد اي قاعة العرض بمواصفاتها المتعارف عليها في كل مكان، سيكون هو الشماعة التي سنعلق عليها نكوص وتراجع الحركة المسرحية في المدينة (مع أقرارنا باهمية وجود قاعة العرض في انعاش العمل المسرحي)، امام الجمهور حتى لو جاء هذا العرض بحمولات ثقيلة من الترميز وبمساحات واسعة من أمكانيات التأويل (هذا أذا لم نقل أن الغموض نفسه قد يكون باعثاً على التشكك والأرتياب المضاعف بنوايا المسرحيين كما تشهد على ذلك، وتلك قصة أخرى، ومع أننا نستطيع أن نقول، مع شيء من التردد، ان ثمة طاقات مسرحية مقبولة في المدينة ولكن مشكلة تلك التي اصطلحنا عليها بالطاقات انها تفكر وتعمل وكأنها بلا تاريخ من التقاليد المسرحية العريقة التي لا غنى للعمل المسرحي الناضج عنها، وقد حدث ذلك كنتيجة لجملة من الأسباب منها ان العمارة هي واحدة من المدن العراقية التي لم تتمكن، حتى الآن، من أنجاب كفاءات عالية سواء على صعيد التأليف أو الإخراج المسرحي ولذلك فقد بقيت المسرحيات المعروضة في المدينة محصورة في حدود الحدوتات الممسرحة التي عادة ما تقدم في امكنة قد تصلح لأي شيء سواء كونها فضاءات للعرض المسرحي، قد أنتزعت، لفرط قسوتها، ومع مرور الوقت، من المسرحيين قلق الأبداع ومبادرات المغايرة لأن الغالبية العظمى من أولئك المسرحيين هم من صغار المثقفين الذين أعتادوا على العمل وفقاً لأساليب ورؤى التجارب المدرسية التقليدية بدلاً من الأشتباك مع الدرس الكبير للمسرح بوصفه تعرية للجهل وأرتقاء بالذائقة وكشفاً للعالم وهوساً أبداعياً ورسالة ثقافية لا تقوم لها قائمة أذا لم تتظافر فيها الموهبة والقدح والمران مع ما يدعوه ماركيز القراءة بلا رحمة.

هذه هي الخطوط العريضة، مع البعض من تنويعات التفاصيل، لتقريرنا عن الواقع الثقافي في مدينة العمارة، فأذا كان القص مع الأغفال، كما يخبرنا ماريو فارغوس يوسا، هو قدر كل الحكايات فأننا نأمل ألا نكون قد أغفلنا عن ذكر الكثير ونحن نكتب عن أوضاعنا الثقافية التي تكبدت العديد من الخسارات وهي تتوغل في عمق الأزمنة الموحلة، وأذا كان أنشيال هذه الاخيرة هو الحدث التاريخي المرتقب والحلم العتيق لأجيال من المبدعين في مدينتنا المغدورة، فأن النقاط المضيئة في هذا التقرير قد تصلح للحلم بواقع ثقافي جديد.

ثلاث قصائد

دينار السامرائي

خوف

تبوح الصبيّةُ بالحب
قبل الأوان
تبوح الصبية بالحب
في عثرات اللسان
وتبقى القصيدة
ما بين بين
تراود سيدها في الظلام
اتبقى القصيدةُ مثل الصبية
خائفةً ان تُلام؟؟

نيسان ٢٠٠٥

في آب

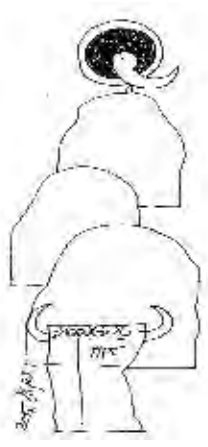

في آب اللهّابْ!!
أمرأةُ تتمرى في المرآة
في آب اللهّاب
امرأة تتعرى في المرآة
في آب اللهّاب
يتوقف سيرُ جميع
الطرقات
وتدوّي آلاف الطلقات
في آب اللهاب

آب ٢٠٠٥

نصيحة

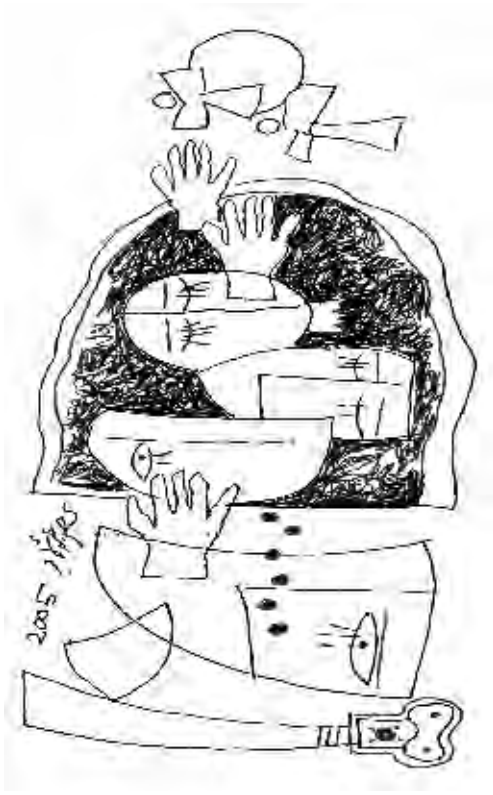

سيدتي الفاختةْ
للسنة الثالثةْ
يسقط هذا العشْ
خوفاً على أنفاسكِ
اللاهثة
.....
ما دام الموتُ على الابوابْ
إبني عشك في سردابْ

مايس ٢٠٠٦